مجلة التغير الاجتماعي العدد الثاني

التفاعل الاجتماعي الأسري والتوافق النفسي-الاجتماعي للأفراد -التحديات والآثار -

د.أم الخير بدوي - جامعة بسكرة - الجزائر

الملخص :

الأسرة باعتبارها نظاما اجتماعيا له أهدافه وقواعده وتركيبته الخاصة ضرورية لبقاء المجتمع، وتشكل نسقا من الأدوار الاجتماعية المتصلة والمعايير المنظمة للعلاقات بين الآباء والأبناء تتم على مستواها تنشئة الأفراد وتهيئتهم للحياة الاجتماعية ضمن تفاعل اجتماعي أسري يحقق توافق النفسي-اجتماعي الضروري للطفل.

لكن في ظل التحولات المجتمعية خاصة العولمة تغيرت الأنظمة الاجتماعية خاصة الأسرة، كما تغيرت منظومة العلاقات بين أفراد الأسرة ما شكل تهديدا على كيانها ومنظومتها القيمية وعلى دورها التربوي.

Abstract :

The family as a social system has goals and rules special composition is essential for the existence of the society, is the system of social roles and norms organising relations between parents and children. Its role is in the education of individuals. and prepare them for the social life by The family interaction that achieves the psychosocial adjustment.

But under special societal transformations of globalization Social systems have changed a private family, As relations between the members of the family have changed ,What made it a danger to the value system and educational role .

مقدمة:

الفرد ينمو ويصبح كائناً عضوياً اجتماعياً عن طريق المجتمع وثقافته من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، اذ يولد وينمو في المجتمع وفق نظام ثقافي معين تتشربه الأفراد والجماعات. هكذا ينمو في إطار تعامله مع أفراد المجتمع، ويأخذ هذا التعامل أشكالاً متنوعة منها التقليد والمشاركة مع الآخرين قصد تعلم القيم ونماذج السلوك والاتجاهات واكسابه الأدوار المتوقعة منه، كل هذا كنشاط هادف لتحقيق مطالب الفرد من المجتمع ومطالب المجتمع من الفرد، وعلى الرغم من أن الفرد يولد وهو مزود بأنماط سلوكية وراثية وبيولوجية مع استعداد لتقبل التكيف مع بيئته الاجتماعية، إلا أن الفرد محتاج أشد الاحتياج إلى من يأخذ بيده ويوجهه الوجهة السليمة واللازمة ليستطيع العيش والتفاعل مع أفراد جماعته، إلا أن في بعض الأوقات تنقلب موازين هذه المعادلة عندما يغيب التفاعل الاجتماعي الأسري الفعال الذي يرتكز أساس على عمليات التنشئة الاجتماعية القاصرة والمتناقضة كأن لا تعتمد على مبادئ العقاب والثواب السوي، ولا توازن بين أساليب اللين والشدة في المعاملة والتفاعل مع الفرد، ولا تقتفي صيغ الرعاية الاجتماعية المكثفة ولا تهيء الظروف والمستلزمات الأساسية التي تتطلبها التنشئة الاجتماعية الناجحة والفاعلة، إضافة إلى كل هذا تدخل عوامل أخرى شكلت تحديا كبيرا للآباء تمثل في تحدي العولمة وما أفرزته من تكنولوجيات حديثة عمقت الفجوة بين الأبناء والآباء وشكلت تهديدا للتوافق النفسي-الاجتماعي داخل الأسرة وجعلت منها هيكلا يفتقر للوظيفة المنوط القيام بها .هذه الورقة البحثية ستكرز على أهمية التفاعل الاجتماعي الأسري، مع التركيز على التحديات ومختلف الآثار التي أحدثها على التوافق النفسي الاجتماعي للأفراد في ظل المتغيرات المجتمعية الحاصلة.

أولا:التنشئة الاجتماعية الأسرية:

الأسرة هي المؤسسة الأولى المسئولة عن التنشئة الاجتماعية للطفل، وبالإضافة إلى أهميتها في توفير الاحتياجات المادية للطفل كالغذاء واللباس والمسكن، فالأسرة هي التي تجعل الطفل كائناً اجتماعياً يعرف كيف يتعامل مع الآخرين، من خلال تعليم الطفل بشكل

مباشر وغير مباشر السلوك الصواب والسلوك المناسب والسلوك الأخلاقي فمنذ نعومة أظافره يجد الطفل نفسه محاصرا بمجموعة من القوانين التي تحدد ماذا يأكل وماذا يشرب ومتى ينام وماذا يلبس وهي التي تحدد له اللغة التي يتحدث بها مع الآخرين، وهي التي تحدد له كيفية التعبير عن أرائه ورغباته، وهكذا يجد الطفل نفسه محاصراً بالمجتمع الكبير المحيط به ومع الوقت يصبح هذا المجتمع جزءً لا يتجزأ من شخصيته.

1-1- أهمية التفاعل الاجتماعي الأسري وأهدافه:

يقصد بالتفاعل الأسري جملة العلاقات التي تتكون بين أعضاء الأسرة، وتكون محل جذب وارتخاء واخذ وعطاء، وخلال هذه العملية يتعلم الفرد الكثير من الخبرات الاجتماعية ومبادئ السلوك وهو لا يتعلق بأي ناحية من نواحي الحياة، وانما يمتد ليشمل جميع مجالات الحياة الاجتماعية التي يتفاعل الطفل معها حتى يتعلم الطفل من هذا الجو الأسري والتفاعل الاجتماعي لابد من توفر مجموعة من الشروط:

1. أن يشعر الطفل في الأسرة أنه مقبول اجتماعيا ومحبوب من قبل والديه ومرغوب فيه.
2. يجب أن تكون الأسرة المحيط الاجتماعي الأول الذي يتعامل معه الطفل وينمي فيه قدراته الفكرية والنفسية ويتعلم فيه الخبرات الاجتماعية وكيفية بناء العلاقات الاجتماعية مع الآخرين.
3. يجب أن تكون الأسرة المحيط الذي يتعلم فيه الطفل كيف لا يكون أنانيا ومحبا لذاته.
4. يجب أن يكون محيط الأسرة هو المحيط الذي يلقن فيه الطفل المبادئ الأولية في التعامل مع المجتمع.
5. الأسرة هي المحيط الذي يبني فيه الطفل اتجاهاته الاجتماعية نحو مختلف المواضيع الخارجية، فعن طريق السلطة السائدة في الأسرة وحقوق الإخوة يتكون للطفل اتجاه نحو الحقوق والواجبات التي أقرها المجتمع وهكذا.
6. الأسرة هي الموقع الذي يتعلم فيه الطفل مجموع العادات الحسنة كعادات التعامل مع الآخر. (مصباح عامر،2003،ص ص 107-108)

1-1-1-الأهمية:

يشير مفهوم التفاعل الاجتماعي إلى تلك العلاقة بين طرفين(فردين أو جماعتين) أو فرد وجماعة التي تجعل من سلوك أي منهما منبها لسلوك الآخر وجميع المواقف الاجتماعية تعد من هذا النوع، إذ يشكل التفاعل الاجتماعي المنطلق الأساسي لاي حياة اجتماعية، وهذا التفاعل لا يتم من فراغ، بل في سياق اجتماعي وفي إطار الحاجة إلى الآخرين والحاجة الارتباط بهم والانتماء إليهم، وفي محاولته لتفسير عملية التفاعل الاجتماعي المرتبطة بالتنشئة يذهب عالم الاجتماع" جورج ميد" إلى أن الذات تنمو خلال عملية التنشئة الاجتماعية، فالطفل حديث الولادة ليس لديه تصور عن نفسه كفرد منعزل عن الآخرين لكنه عن طريق تفاعله بوالديه والآخرين من حوله يستطيع إدراك شخصيته المنفصلة، وهكذا تنمو ذاته وتتطور بالتدريج.(محمد فتحي فرج الزليتني،2008،ص107).

ويؤكد" شارلز كولى" انه من خلال التفاعل مع الجماعة الأولية لاسيما مع أعضاء الأسرة ينمي الفرد فكرته عن ذاته ويصير واعياً باتجاهات الآخرين نحوه، فعلى نحو ما يبدو في أذهان الآخرين يحددون اتجاهاتهم نحوه، ومن خلال المحيطين يكتسب الفرد مفهومه لنفسه، وتلعب الأسرة دوراً حيوياً في عملية التفاعل الاجتماعي المرتبطة بالتنشئة حيث تسهم في توثيق الروابط الشعورية وتعليم اللغة والمساعدة في تشرب المعايير والقيم الثقافية.

كما الأسرة ومن خلال التفاعل الاجتماعي الذي يحدث في محيطها تمد الفرد بنماذج السلوك وبسمات الشخصية عندما يبلغ مرحلة الرشد، كما يعد التفاعل المستمر بين أفراد الأسرة الواحدة من مظاهر الأسرة الأساسية الذي يعطيها أهميتها الخاصة في نمو شخصية أعضائها ، وقد زادت أهمية الجماعات الخاصة التي يقوم فيها الفرد بإشباع حاجاته الاجتماعية والنفسية نتيجة زيادة العلاقات غير الشخصية في المجتمع الحضري الحديث، وأصبحت الأسرة بلا جدال أهم الجماعات التي يشعر فيها الفرد بالأمن والاطمئنان خاصة فيما يتعلق بالجوانب الوجدانية من حياته، وثمة عوامل ثلاث تجعل لخبرة الأسرة هذه الأهمية القصوى والتأثير البالغ في تشكيل شخصية الفرد، فالأسرة أولا تقدم للطفل خبرة الحياة المبكرة الأولى والمؤثرات الأولى تكون لها عادة دلالة خاصة، وثانياً فان خبرات الأسرة تتكرر عدة مرات

في حياة الطفل مما يجعل لها أهمية كبيرة وثالثاً أن التفاعل الأسري يتميز منذ بدايته بالمظهر الوجداني وهذا يضع العلاقات الأسرية المتبادلة في منزلة خاصة متميزة. (محمد فتحى فرج الزليتني،2008، ص ص107-108).

إن ما تساهم به الأسرة في حياة الفرد وما تزوده به من خبرات خلال التفاعل الاجتماعى الذي يتم بداخلها خاصة فيما يتعلق بحاجاته الاجتماعية والنفسية وعملية النمو يتمثل في:

*المساندة العاطفية: فالعلاقة الأسرية التى تمتاز بإقامة علاقات عاطفية تساعد على النمو السليم لشخصية الطفل ، فالتهديد بالحرمان من قبل الوالدين يؤدي إلى تنشئة غير سليمة، ولقد درس"سبتز" R .Sptiz الآثار التى يعانى منها الطفل نتيجة لحرمانه من السند العاطفى من قبل والديه، فقد قارن بين مجموعتين من الأطفال بلغ حجم كل منها45طفلاً وكانت المجموعة الأولى تحتوي على أطفال نشئوا فى ظروف يسودها الحب والقبول والدفء العاطفى، أما الثانية فتتضمن أطفال ملاجئ الذين يفتقدون تلك العلاقة، ولقد أبدت المجموعة الأولى نمواً طبيعياً فى استجاباتها الانفعالية وفى الذكاء، وذلك من خلال الاختبارات التى طبقت عليها، أما المجموعة الأخرى فلقد بدت عليها ملامح الانطواء و اللامبالاة وانخفاض مستوى ذكائها، أما دراسات كل من "رولنز" و"توماس" " D.Thomas andB.Rollin فقد أظهرت أن تقدير الطفل لذاته وتنمية قدراته و تقبله للمعايير والقيم تعتمد أساسا على تمتع الطفل بالحب والدفء العاطفى.(رشاد صالح الدمنهوري، 2006،ص49)

*التدريب على السلوك المناسب لإشباع الحاجات الأولية: حيث تقوم الأسرة بتدريب الطفل على كيفية وزمن ومكان إشباع حاجاته المختلفة، فمن الناحية الصحية يتدرب على الشرب والأكل والمباح والممنوع تناوله، وأوقات الأكل والشرب، ومن الناحية النفسية يتدرب على التعاطف وتبادل الحب والكره وماذا يحب وماذا يكره، وكيف يشبع حاجة حب التملك والتفريق بين ما هو له وما لغيره ،وكيف يحقق ركيزة الحرية ولا يعتدي على غيره، اما من الناحية الروحية يتدرب على الاعتقاد الصحيح وممارسة العبادة وتحرير

الولاء،ومن الناحية العقلية، يدرب على طرق التفكير والاستدلال واقامة الحجة .(مراد زعيمي،2002، ص74).

*كما توفر الأسرة من خلال التفاعل الاجتماعي على تنمية قدرات الطفل واستخدامها في أنواع مختلفة من النشاط، وعن طريق اختيار أدوات اللعب والألعاب والرفاق، تهيئ له أول المواقف التي يمارس فيها نشاطه، وتدور هذه المواقف في بداية الأمر حول الطفل ذاته لتشجيعه وحثه بمفرده، ثم تبدأ الأسرة بعد ذلك في توفير مواقف التنافس والعمل مع الآخرين.(محمود حسن،1997، ص241).

1-1-2-الأهداف:

يمكن تحديد أهداف التفاعل الاجتماعي الأسري في النقاط التالية:

*غرس عوامل ضبط داخلية للسلوك:من خلال ضبط سلوكه في المواقف الاجتماعية من اجل إقامة الضمير الايجابي في ذات الطفل والتي تصبح جزءً أساسيا منه.

*تحقيق النضج النفسي:لكي تنجح الأسرة في تحقيق النضج النفسي لأبنائها لابد لها من توفير العناصر التالية:

- تفهم الوالدين وإدراكهما لحقيقة دوافعهما في معاملة الأبناء.

- تفهم حاجات الطفل السيكولوجية والعاطفية المرتبطة بنموه وبتطور نمو فكرته عن نفسه وعن علاقته بغيره من الناس.

- إدراكهما لرغبات الطفل الكامنة وراء سلوكه، وقد يعجز عن التعبير عنها.

- وعي الوالدين بقدرات واستعدادات الطفل الخاصة والمختلفة عن غيره من الأطفال.

- إدراك الوالدين لخطورة استعراض عيوب الطفل أو أخطائه أمام الآخرين،الأمر الذي ينعكس على صحته النفسية

*تحقيق النضج الاجتماعي:فالأسرة تقوم بإشباع حاجات أفرادها الاجتماعية والنفسية والصحية بالشكل الملائم، فالتفاعل بين أبناء الأسرة الواحدة يسهم في تحقيق النضج

الاجتماعي والتوازن النفسي للفرد الذي هو الهدف الاساسي للتنشئة الاجتماعية، ويتوفر هذا الجو الاجتماعي في وجود أسرة مكتملة تضم الأب، الأم والإخوة حيث يلعب كل منهم دوراً في حياته. (محمود حسن،1997،ص ص71-72).

2-1-أساليب التنشئة الأسرية:

تختلف أساليب التنشئة باختلاف مراحل نمو الإنسان،وباختلاف المواقف التي يمر بها الأفراد وطباعهم،وتعد هذه الأساليب أساسية في تشكيل الشخصية وفي تكوين الاتجاهات الاجتماعية للفرد ويقصد بأساليب التنشئة الأسرية: "الوسائل النفسية والاجتماعية التي تستعمل أو الظروف التي تهيئها الأسرة بقصد إكساب الطفل سلوكاً معيناً أو تعديل سلوك موجود بالفعل".(محمد فتحي فرج الزليتيني، 2008، ص119).

*أسلوب القدوة: وهو من أنجع الأساليب، و يتطلب التزاماً صادقاً من الوالدين، فالقدوة التي يقتدي بها الطفل والصدقات التي يكونها، إما أن تبنى المرء إن كانت صالحة أو تهدمه إن كانت شريرة، فالقدوة تقدم الأفكار والمعاني والقيم بلغة عملية، تحول المثل إلى واقع، مما يمهد للمقتدي الطريق لتمثل تلك القيم والمعاني وتحويلها إلى سلوك عملي، فالقدوة من الأساليب التي حث عليها الإسلام في قوله تعالى: "قد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة" (سورة الأحزاب.الاية21) .(محمود حسن،1986،ص ص71-72)

*أسلوب السماحة/التسلط : وتتمثل في عدم تدخل الوالدين في اختيار الأبناء لأصدقائهم، وتشجيعهم لان يكون لهم رأي مستقل منذ الصغر، وإعطاء الأبناء الحرية في اللعب في المنزل دون قيود، وإمكانية إفضاء الأبناء لأسرارهم للآباء وعدم إتباع أسلوب العقاب البدني مع الأبناء، ورعاية الأبوين لأبنائهم، وبعث الثقة في نفوسهم، والسماح بان يكون للأبناء عالمهم خارج الأسرة والتحدث عما يمر به الوالدان من خبرات، كما تعني السماحة أيضا توجيه الطفل إلى التعامل مع عناصر البيئة الملائمة لهم بدرجة من الاستقلال تسمح لهم بإمكانية نمو اعتمادهم على أنفسهم.(معتز سيد عبد الله.عبد الطيف محمد خليفة،2001،ص ص230-231).

أما الأسلوب التسلطي لا يتيح للأطفال الحرية وتعنى تدخل الوالدين في سلوكيات الأطفال وفرض الأحكام والنظم عليهم مع التشدد في عملية الضبط والالتزام. (محمد البدوي الصافي،1996،ص95).

*التقبل والرفض: يشير التقبل إلى الحب القاطع بين الطفل ووالديه، والاستعداد لرعايته واحتضانه في الأسرة واعطائه مكانة اجتماعية في وسط الأسرة بشكل يشعر الطفل بذاته وانه محبوب من قبل والديه، ويشير" سيمونذر" (1939) في دراسته إلى أن القبول الاجتماعي للطفل في الأسرة له مظاهره، وتمثل في اهتمام الوالدين به، والتحدث عليه بإيجابية ويشعرانه بالحب والحنان والاحترام ويشاركانه في أنشطة البيت، ويعاملانه كفرد له شخصيته المستقلة.

أما أسلوب النبذ والرفض الاجتماعي للطفل في الأسرة، راجع إلى رفض أحد الوالدين للطفل واشعاره انه غير مرغوب فيه وغير محبوب من والديه، ولا ذا قيمة في الأسرة وهذا الرفض يظهر بصورة واضحة أثناء تعامل الوالدين مع الطفل. (مصباح عامر،2003،ص ص100-101).

وهذا الأسلوب يمكن أن يتضح أكثر عندما يتفاجأ الوالدين بإنجاب طفل معاق، فقد يتأرجح التعامل مع الطفل المعاق بين الأسلوبين - بين التقبل والرفض- خاصة إذا كان الطفل معاق عقلياً مما يتطلب تكافل جهود جميع أفراد الأسرة من، الأم، والأب، والإخوة في كيفية التعامل مع هذه الفئة من الأطفال التي تحتاج عناية كبيرة وقوة الصبر في عملية التنشئة، كما أن في مثل هذه الحالة قد يطبق الوالدين أسلوبين آخرين هما الحماية الزائدة التي فيها نوعاً من المبالغة مما تجعل الطفل اتكالي ولا يساعده هذا الأسلوب خاصة بالنسبة للطفل المعاق من التكيف الاجتماعي والقيام بالأعمال التي بمقدوره القيام بها مما تعرقل نموه و تثبطه، أما الإهمال فقد يؤثر عليه سلباً مما يشعره بالذنب وبالتالي يؤدي به إلى سوء التكيف الاجتماعي نظراً لان الأسرة باعتبارها البيئة الحاضنة له لم تؤدي دورها المنوط القيام به وهي المساندة العاطفية التي تعتبر أولى عمليات التكيف الاجتماعي.

*الأسلوب العقابي: يعتبر العقاب من أساليب تعديل السلوك المعروفة في تقليل احتمال ظهور أشكال السلوك غير المرغوب فيها، ويعنى العقاب إضافة مثير مؤلم بعد حدوث الاستجابة غير المرغوب فيها وذلك بهدف إضعاف العلاقة بين المثير والاستجابة، وقد يكون لفظي أو بدني.(فاروق الروسان،2000،ص215).

فقد أشار " بن خلدون "في "مقدمته" إلى الشدة على المتعلمين وما تلحقه من ضرر بهم، وكذا الأهمية البالغة لكيفية معاملة المتعلم من طرف المربي، كما ركز على مسالة القهر والتسلط اللتان يمكن أن تشكلان احد الأسباب المؤدية إلى الانحطاط وطغيان الرذائل، فالضرب المفرط والقهر في عمليتى التربية والتعليم تولد لدى الفرد جملة من السلوك المخادع والتعود على الكذب والحيلة والمكر والكسل وهذا كله من اجل الدفاع عن النفس تجنباً للعقاب، فيصبح يتجاوب بطريقة شرطية مع والديه أو معلمه وكل سلوكاته تكون مصطنعة ولا يؤمن بها، بل يسلكها للتهرب من العقاب.(جمال معتوق،2004،ص173).

هذا لا يعنى عدم استخدام العقاب في عملية التنشئة الأسرية، والاجتماعية فقد يمكن استخدام العقاب من منظور التأديب وليس التعنيف، أو العقاب الايجابي الذي ليس له آثار سلبية على الجانب النفسي والجسمي للفرد، فلا إفراط ولا تفريط.

ثانيا:الأسرة وتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي:

2-1-الأسرة والتوافق النفسي:

يحتاج الطفل في نموه الانفعالي وباعتباره كائناً اجتماعياً إلى إشباع حاجات نفسية أساسية عنده، وتتأثر شخصيته تأثرا كبيراً بما يصيب هذه الحاجات أو بعضها من إهمال أو حرمان، وتتأثر بصفة عامة بالأسلوب أو الطريقة التى تواجه بها هذه الحاجات ومن أهم هذه الحاجات حاجة الطفل إلى التجاوب العاطفى في دائرة الأسرة (أي تبادل المحبة والحنان مع الوالدين)وتشبع هذه الحاجة في بادئ الأمر عن طريق الأم عندما تحمل رضيعها إلى صدرها وعندما ترتب علية وتداعبه ويستجيب الطفل إلى حنان أمه عليه ويقابله بحنان اتجاه أمه يأخذ في الوضوح شيئاً فشيئاً. (سهير كامل احمد،1999، ص ص274-275).

ويؤكد علماء النفس على الأهمية البالغة للعاطفة المتبادلة بين الطفل وأمه والتى تنشا مثلها فيما بعد بين الطفل وأبيه وبين إخوته على مستقبل شخصيته والصحة النفسية، وقد دلت ملاحظاتهم على أن كثيراً من حالات انحراف الأحداث والكبار مرجعه إلى افتقاد الحب والأمن في الطفولة ، كما ثبت أن أطفال الملاجئ والمؤسسات الذين حرموا من الأم لا يكونون في مستقبلهم في سوية الأطفال الذين تمتعوا بحنان الأم وعطفها، وان هناك من الأفراد من وطن نفسه على عدم توقع الحب من أي من الناس نتيجة لافتقاده الحب صغيراً، فتجمدت لذلك عاطفته واصطبغت نظرته إلى الحياة بالتشاؤم أو اللامبالاة وأسرف في الاتجاهات الواقعية المادية، ومن الناس أيضا من يسرف في البحث عن اللذة الحسية أو المال أو السيطرة أو القوة وليس سلوكهم هذا أسلوبا للتعويض عما افتقدوا من حنان في طفولتهم.(سهير كامل احمد،1999،ص275).

- إن دور الأسرة في تحقيق التوافق والتكيف النفسي للطفل السوي واللاسوي أي الذي يعاني من عجز ما مهما بلغت شدته، يتمثل في تحقيق أهم الحاجات النفسية التي يحتاج اليها الطفل خاصة في مراحل عمره الأولى، وهذه الحاجات الأساسية تتمثل في: (بطرس حافظ سلامة،2008،ص ص137-139).

***الحاجة إلى الأمن:** يحتاج الطفل إلى الشعور بالأمن والطمأنينة والانتماء إلى الجماعة في الأسرة والمدرسة على حد سواء، إن الطفل بحاجة إلى الشعور بالأمان من العوامل الخارجية المهددة، حتى وان لم يشعر بها هو نفسه، ليشعر بالأمن في حاضره ومستقبله، كما يجب مراعاة إشباع هذه الحاجة لدى الطفل حتى لا يشعر بتهديد خطير لكيانه مما يؤدي إلى أساليب سلوكية قد تكون عدوانية.

***الحاجة إلى الحب والمحبة:** وهي من أهم الحاجات الانفعالية التي يسعى الطفل إلى إشباعها، فهو بحاجة إلى الشعور بأنه محب ومحبوب، والحب المتبادل المعتدل بينه وبين والديه واخوته وأقرانه حاجة لازمة لصحته النفسية، وهو يريد أن يشعر انه مرغوب فيه وانه ينتمي إلى جماعة والى بيئة اجتماعية صديقة، كما انه يحتاج إلى الصداقة والحنان،

فالطفل الذي لا يشبع هذه الحاجة إلى الحب والمحبة فانه يعاني من " الجوع العاطفى" ويشعر انه غير مرغوب فيه ويصبح غير متوافق نفسياً.

***الحاجة إلى الرعاية الوالدية والتوجيه:** إن هذه الرعاية خاصة من جانب الأم التى تكفل تحقيق مطالب النمو تحقيقاً سليماً يضمن الوصول إلى أفضل مستوى من مستويات النمو الجسمى والنفسى، ويحتاج إشباع هذه الحاجة إلى والدين يسرهما وجود الطفل، يتقبلانه ويفخران بدورهما كوالدين للطفل، ويحيطان الطفل بمحبتهما ورعايتهما.

***الحاجة إلى تعلم المعايير السلوكية:** يحتاج الطفل إلى المساعدة في تعلم المعايير السلوكية نحو الأشخاص والأشياء، ويحدد كل مجتمع هذه المعايير، والمؤسسات التى تقوم بتنشئة الطفل مثل: الأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام وغيرها تقوم بتعليم الطفل تلك المعايير

إن الطفل بحاجة إلى معرف حقوقه ما له وما عليه، وما يفعله وما لا يفعله، ... ويحتاج إشباع هذه الخبرة من الكبار إلى الكثير من الخبرة والصبر والثبات.

***الحاجة إلى المكانة واحترام الذات:** فالطفل يحتاج إلى احترام ذاته وانه جدير بالاحترام، وانه كفئ يحقق ذاته ويعبر عن نفسه وإمكانياته بحدود قدراته، وإفهامه بان لكل شخص إمكانياته وهذه الإمكانيات بحدود.

***الحاجة إلى اللعب:** إن اللعب له أهميته النفسية في التعليم والتشخيص والعلاج، ويجب إشباع الحاجة إلى اللعب لدى الطفل والاستفادة من اللعب، ويجب توجيه الطفل نفسياً وتربوياً أثناء اللعب، ولا تتوقف أبدا بان الطفل سوف يتوقف عن اللعب عندما تأمره بذلك، ولو كان اللعب يسبب ضرراً لمن هم حوله أو لنفسه ولا كن بين له خطورة هذا اللعب ونتائجه المحتملة.

ونجد من ضمن الأساليب التى تسهم في تحقيق التوافق النفسى الأتي: (بطرس حافظ سلامة،2008ص ص520-522).

أ/-إظهار السرور والاعتزاز بالطفل: على الوالدين أن يظهروا للطفل بأنهم يشعرون بالفخر والاعتزاز لامتلاكهم طفلاً مثله، وأنهم سعداء ومسرورون لوجوده إلى جانبهم

ومعهم، وعليهم أن لا يتمنوا موته أبدا خاصة فيما يتعلق بالبنات، وان لا يشكون من هذا الأمر بان هان لم يكن هذا الطفل موجوداً لكانت حالتهم أفضل مما هي عليه الآن مطلقاً،وان وجوده يسبب الحرج.

ب/-المداعبة: من أساليب إظهار القبول المداعبة، وهو الشيء الذي يحتاج إليه الطفل ويدرك من خلاله بان والديه يحبانه ويريدانه ومتمسكان بمسالة قبوله بينهم، إن هذا الطفل بحاجة إلى هذا الأمر كما هو بحاجة إلى الغذاء والهواء، فمداعبة الطفل تساعد على خلق موجبات تطوير وتنمية شخصيته بشكل متناغم، وعدم تحقق ذلك يصبح سبباً لمشاعر الهم والغم والمشاعر السيئة الأخرى.

ج/-التعامل الحسن: ومن مظاهر القبول المعاملة الحسنة والطيبة مع الطفل، وفى بعض الأحيان تبدو معاملة الوالدين للطفل بشكل يوحى على إن وجوده زائد أو فاقد الأهمية، إذ أن الطفل يدرك ذلك جيداً ويتأثر له، فى حين انه من الضروري ان يتعاملوا مع الطفل بروح طيبة وأخلاق حسنة، بل وحتى بوجه منبسط ومبتسم وخلق فى نفسه مشاعر السرور وطيب الخاطر.

د/- الإصغاء إليه: عندما يقوم الطفل بتعلم جملة ما،أو أنشودة معينة يقرا ذلك على مسامع والديه لأنه يعتبر ذلك أعجوبة، ويرى في ذهنه أحيانا بعض الأسئلة، ففى هذه الحالة على الوالدين الإصغاء إلى كلماته بكل صبر وحلم بل يشجعونه عند الضرورة أيضا.

ه/-أخذه بعين الاعتبار: يجب على الآباء أخذ الطفل بعين الاعتبار واعطائه المسؤولية والرتبة والمنصب، ومن الخطأ أن ينشغل الوالدين بأنفسهم فقط وسط الجماعة ولا يعيرون الطفل أية أهمية تذكر.

و/-عدم اللجوء إلى التميز فى البيت: إن المعاملة المنصفة ومراعاة العدالة والقسط فى البيت لا يعد رحمة أكثر من كونه واجباً ومسؤولية ولا يحق للآباء تفضيل أحد الأبناء على غيره بسبب جنسه أو شكله ولا يعيرون الأخر أهمية تذكر، وغالباً هذا التميز يكون فى حالة وجود طفل معاق داخل الأسرة مما يلاحظ الفرق في المعاملة بينه وبين إخوته، وهذا

التمييز يعتبر أرضية وسبباً للشعور بالنقص والتحقير والتكدر والألم، ويتجسد هذا الشعور لدى الطفل الذي يعاني من هذه المعاملة بأنه فرد غير مقبول لديهم ولا يعيرونه أهميته.

2-2-الأسرة والتوافق الاجتماعي:

أكد عديد من الباحثين أن النمو الاجتماعى ابتداء من مرحلة الرضاعة يتأثر بالجو الأسري العام، والعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها، ويحتاج الطفل إلى النمو الاجتماعى في جو أسري دافئ وهادئ ومستقر، والى مساندة والديه وأيضا إلى الشعور بالتقبل في إطار الأسرة، وعلى العكس فان شعور الطفل بالرفض يؤدي إلى سلوك غير مقبول وإعراض واضطرابات أخرى والى سوء التوافق الاجتماعى، ونستطيع أن نرجع إلى نظرية السمات الأساسية للسلوك الاجتماعى للفرد إلى المرحلة الأولى من حياته والى علاقته بأفراد أسرته واتجاهات هؤلاء الأفراد المحيطين بالطفل وتفاعلهم معه هو الذي يحدد اتجاهات تكوين ذات الطفل ويصبغ شخصيته ويشكلها، ويؤكد بعض الباحثين على ضرورة تفاعل الوالدين مع أطفالهم أثناء نموهم الاجتماعى وان تخلف أي من الأب أو الأم عن هذا التفاعل تحت أي ظروف طارئة أو مستديمة يشكل عاملاً سلبياً خطيراً في الاستقرار والنمو الشخصى والاجتماعى للأطفال و خاصة إذا علمنا أن أهم مطالب النمو الاجتماعى في هذه المرحلة أن يتعلم الطفل كيف يعيش مع نفسه وكيف يعيش في عالم يتفاعل فيه مع غيره من الناس ومع الأشياء ومن مطالبه أيضا نمو الإحساس بالثقة التلقائية والمبادأة والتوافق الاجتماعى، ويزداد وعى الطفل بالبيئة الاجتماعية ونمو الألفة وزيادة المشاركة الاجتماعية. (سهير كامل احمد،1999،ص ص270-271).

كما يأخذ النمو الاجتماعى مساره من خلال التفاعل بين الطفل والمحيطين به في إطار ثقافة معينة متميزة عن غيرها بما تتضمنه من لغة وقيم ومعايير سلوكية بحيث يتوفر له اكتساب خبرات اجتماعية، وكذلك الأمان والاطمئنان وسط جماعة يشعر بتماثله معها وعلى هذا الأساس، فان الثقة المتكاملة السائدة في الوسط المحيط بالطفل في مراحل تنشئته الأولى وخلوها من المتناقضات لها أكبر الأثر في التوافق الاجتماعى للطفل وتكامل شخصيته.

إن أول بزوغ لثقة الطفل بالعالم الخارجي والمحيطين يستمدها من ثقته بأمه والتى تبدأ منذ مرحلة الرضاعة، فترى"مارجريت ريبل":"... إن تناول الرضيع وتدليله وهزه يمده بقدر كبير من المتعة ويسهم في إيجاد تعلق ايجابي بينه وبين أمه، فالأم مصدر متعة ولها قيمة إيثابية فهى مصدر الغذاء والاتصال اللمسي والتخفيف من الألم والدفء، من خلال هذا كله تتكون الاتجاهات الأساسية اتجاه الأم، وهذه الاتجاهات إما أن تكون ايجابية أو سلبية أو مزيجاً متصارعاً من الايجابية والسلبية، وقد يقوم الطفل فيما بعد بتعميم هذه الاتجاهات فى استجاباته الاجتماعية، كما أن الجمود والقسوة فى الرضاعة والتغذية فى مرحلة المهد تؤدي إلى الاعتماد فى مرحلة الطفولة المبكرة وان الطفل المرفوض يكون أكثر اعتماداً على الآخرين. (سهير كامل احمد،1999،ص ص271-272).

إن أعظم حقوق الولد على أمه تغذيته بإرضاعه من ثديها لان الله تعالى لما وهب الولد للوالدين،فقد جعل غذاءه من لبن أمه واعده لذلك إعدادا فطرياً، فلبن الأم غذاءه الوحيد الكامل الذي يستطيع هضمه وامتصاصه من ثنايا العطف الغريزي الذي يشعر به وهو يجلس فى حضنها ويرضع من ثديها والذي يتكيف مع ما يناسب حالته وسنه، ولقد دلت الدراسات انه كلما كان ضبط سلوك الطفل وتوجيهه قائماً على أساس الحب والثواب أدى ذلك إلى اكتساب السلوك السوي والسيطرة بطريقة أفضل فى ضبط سلوك الطفل ونمو مشاعره بالإثم عندما يقوم بسلوك غير ملائم، وكلما قل دفئ الوالدين وكلما زاد عقابها للطفل أدى ذلك إلى بطئ نمو ضميره.

- إن ما يتعلمه الطفل في محيط يحتل مكانة هامة ولهذا يعتبر الوالدان عاملاً للتفاعل أكثر أهمية من سواهما مما يتعامل معهم الطفل، وسرعان ما يتعلم الطفل انه من خلال تأثير شعور الوالدين، يستطيع إلى حد ما السيطرة على ما يحدث له، وقد لخص احد الباحثين هذا الموقف بقوله:"إن الطفل ينتحل كل السلوك الخاص بوالديه وبنفس الطريقة"، وتدل الدراسات الإكلينيكية إن الأسرة المضطربة تنتج أطفالا مضطربين وان الكثير من اضطرابات الطفل ما هو إلا عرض من أعراض الأسرة المتمثل في الظروف غير المناسبة وأخطاء التربية والتنشئة الاجتماعية..إن الوالدين هم أول المسؤولين عن رعاية النمو الاجتماعي للطفل ولهما دورهما الايجابي في التنشئة الاجتماعية للطفل، فالتنشئة هي عملية

تعلم القصد منها أن ينمى لدى الفرد الذي يولد ولديه إمكانيات هائلة ومتنوعة أسلوبا فعلياً مقبولاً ومعتاداً وفق معايير الجماعة التى ينتمى إليها، وتؤكد بعض الدراسات على ضرورة توفر بعض الشروط الأساسية لكي تتحقق تنشئة اجتماعية ملائمة وصحيحة، وفي مقدمتها شرط ينطوي على أن الطفل حديث الولادة يدخل مجتمعاً موجوداً بالفعل له قواعده ومعاييره وقيمه واتجاهاته، وبناءات اجتماعية عديدة منتظمة ومنمطة، ومع ذلك تتعرض للتغيير باستمرار، ولا يكون الطفل الوليد-غير المهيأ اجتماعياً-أي دراية بتلك العمليات وتصبح مهمة أنماط التفكير والشعور والعمل في مثل هذه الحال هي تحديد الوسائل والطرق التى يجب أن يمر عليها"القادم الجديد" وان هذه الوسائل هي التى تشكل عملية التطبيع الاجتماعى. (بطرس حافظ سلامة،2008،ص ص272-274).

- إن الأسرة إلى جانب سعيها إلى تحقيق التوافق الشخصى للطفل فإنها إضافة إلى ذلك هي أيضا وسط اجتماعى تتفاعل فيه كمية هائلة من العلاقات والأفعال، فضمنها يكتشف الطفل قواعد العلاقات والتواصل مع الأخر ويتعرف على حريته وحدوده ويميز بين الحقوق والواجبات وبين الممكنات والممنوعات ويدرك روح المنافسة والتضامن وطبيعة القيم الخاصة بفئته الاجتماعية، إن عملية التنشئة تؤدي إلى تشكيل السلوك المرغوب به لدى الطفل ، هذا السلوك الذي يتحقق معه تكامل الطفل الاجتماعى كلما وفر له الوالدان الجو الاجتماعى السليم المطبوع بالاستقرار والباعث على تعليم الطفل حب الآخرين وكثيراً من القيم والتقاليد والمواقف التى تدل على التسامح أو على التعصب، على أن يمكن التمييز بهذا الخصوص بين اربع صيغ نوعية لتدخل الوالدين في اتجاه تحقيق اندماج الطفل اجتماعياً وهي: (بطرس حافظ بطرس، 2008، ص،47).

*التضبيط الذاتي، بمعنى قدرة الطفل على تحديد غاياته.

*التلاؤم مع الأعراف والقوانين الاجتماعية.

*التعاون مع الآخرين.

*الحساسية.

وهذه الصيغ الأربع تستدعى على مستوى تحققها كغايات اجتماعية، إتباع أربعة أشكال للتنشيط وهي: المراقبة والتحريض والتخلق ثم العلاقة العاطفية والتى يمكن ملاحظتها في أربعة قطاعات أساسية لتربية الطفل وتحقيق اندماجه الاجتماعي:

فهناك أولا قطاع تعلم المعارف التقنية المرتبطة أساسا بمهارات القراءة والكتابة والحساب وغيرها.

وهناك ثانياً قطاع تعلم القيم الأخلاقية والمعايير اللازمة لتدبير الحياة الاجتماعية كإحكام الحلال والحرام، وكمفاهيم العدل والصدق والاستقامة والنزاهة والجيد والقبيح والمسموح والممنوع...الخ

وهناك ثالثاً قطاع تعلم قيم وعادات التفاعل بكل ما تحتويه من تقنيات العلاقة مع الأخر وقواعد الحوار والأدب ثم مهارة الحياة.

وهناك أخيرا قطاع تعلم أساليب تمثل الذات وبناء الهوية الاجتماعية وخاصة على مستوى صورة الجسد.

والحقيقة إن تحقيق تكيف الطفل وفق هذه الصيغ والإشكال لا يزال يشكل فى البلدان العربية الميدان الذي لم تقتحمه بعد الدراسات والأبحاث الإنسانية عامة والسيكولوجية خاصة رغم ما يمثله من أهمية علمية وقيمة عملية.(بطرس حافظ بطرس، 2008، ص48).

ثالثا: العوامل المؤثرة في التفاعل الاجتماعي الأسري:

هناك عدة عوامل تعيق وتؤثر على عملية توجيه وتنشئة الطفل داخل الأسرة، من أهمها الآتي:

1-اتجاهات الوالدين: هي ما يراه الوالدين ويتمسكان به من أساليب في معاملة أطفالهم في مواقف مختلفة. (مواهب ابراهيم عياد، ليلى محمد الخضري، 1997، ص186)

وهي تتضمن السلوك المطلق للوالدين بتعويد الطفل الاعتماد على النفس ومساعدته على النمو الاجتماعي والعاطفي والعقلي، ولكن ظهور بعض الاتجاهات لدى الوالدين يحول

دون ذلك، فالتسلط هو أحد الاتجاهات الوالدية لأن الطبيعة البشرية تميل الى دفع الانسان إلى تربية أطفاله بنفس الطريقة التى تربى بها.(بن جامين سبوك وآخرون،1976، ص11)

2-البيئة المنزلية: إن البيئة المنزلية وما تتضمنه من علاقات اجتماعية داخل الأسرة والتفاعلات الأسرية والسمات العاطفية التى تطبع هذه العلاقات إما دفء أو برودة كل هذه الخصائص لها تأثير كبير فى عملية التنشئة الأسرية، إذا اعتبرنا أن الطفل يتشرب الأنماط السلوكية والسمات السيكولوجية فى خضم تفاعل العلاقات الأسرية بشكل واعى أو تلقائى وسواء كان هذا التشرب سلبى أو إيجابى. (حامد عبد السلام زهران،1984، ص254)

3-الاستقرار الأسري: ليس هناك شك فى أن الاستقرار العائلى والتماسك الأسري يلعبان دورا بالغا فى تكوين واعداد الطفل وتطبيعه اجتماعيا، بينما تصدع الأسرة أو التفكك الذي يمس كيان الأسرة سواء بسبب الطلاق أو الموت أو الهجر كلها حالات لوضع اجتماعى يؤثر بطريقة أو بأخرى على عملية التنشئة الاجتماعية ويؤثر فى سلوكه وتصرفاته، فقد أكدت الدراسات النفسية الاجتماعية على أهمية مشاركة الوالدين فى عملية التوجيه والإرشاد حيث تزداد هذه الأهمية بتطوير نضج الطفل ونموه الحركي وازدياد خبرته في السيطرة على البيئة(مواهب ابراهيم عياد، ليلى محمد الخضري،1997).

رابعا:تحديات التفاعل الاجتماعي الأسري:

لاشك أن العولمة قوة أساسية ستنعكس آثارها على الحياة المعاصرة، وسوف تؤثر تأثيرا عظيما في القرن الحادي والعشرين(21)، واذا كان من الصعب إيراد توقعات دقيقة عن آثار العولمة ، فمن المرجع انه سيكون لها تأثير حاسم في مختلف مجالات الحياة والبنى الاجتماعية القائمة وعلى راسها النظام الأسري وشبكة العلاقات الناظمة له ، فأول ما أفرزته العولمة هو تغيّر مفاهيم المعرفة والتعليم والتعلم، وذلك نتيجة للتغير الجذري في نمط الإنتاج الذي أحدثته العولمة، فقد انتقلنا من نظام يعتمد على إنتاج البضاعة في المصانع، إلى نظام إنتاج جديد يتطلب مزجا بين الجهد العضلي والجهد الذهني من جهة، ويحتاج إلى توفر

قاعدة معرفية عند العامل من جهة ثانية. انه تغير بالغ العمق والجدة يمكن رده في الأساس إلى الانتقال من المجتمع الصناعي إلى المجتمع المعلوماتي، الذي بدوره اعتمد على اكتشافات وتطورات وتحسينات علمية وتكنولوجية هائلة.(إسماعيل سراج الدين وآخرون، 2009، ص 86). وهذا ما سهل اختراق الخصوصيات الاجتماعية وعلى رأسها خصوصية الأسرة العربية التي أصبحت مهددة في ظل هذه التحولات المجتمعية القائمة وتتخلص هذه التحديات في:

- عدم الاستقرار في العلاقات الاجتماعية الأسرية.
- التأثير على القيم والأفكار والمواقف والاتجاهات، والمحو التدريجي للقيم والعادات والتقاليد التي تميز الأسرة العربية واحداث شلخا على مستواها.
- تزايد الانحراف الاجتماعي بين الشباب نتيجة تأثير المضامين الإعلامية الوافدة من الثقافة الغربية وتأثيرها.
- انتشار التكنولوجيات الحديثة الانترنت والعاب الفيديو أثرت على العلاقات الأسرية وكرست العزلة.
- تقليص وظائف الأسرة خاصة فيما تعلق بالتنشئة الأسرية مع خروج المرأة للعمل وتعدد أدوارها المجتمعية، وتأثير التكنولوجيات الحديثة على تنشئة الأفراد وانشغالهم بها أدى إلى الهروب من الواقع وضعف التفاعل الأسري.
- ضغوطات وتحديات الثقافة الوافدة أثرت على الأفراد وأحدثت صداما بين الآباء والأبناء.

خاتمة:

يتضح أن الأسرة تمثل الإطار النفسي-الاجتماعي للإفراد، الذي يعمل على إشباع حاجاتهم وتحديد سلوكهم مما يضمن لهم الاطمئنان والاستقرار النفسي، والمأوى الذي يبعد عنه عوامل القلق والاضطراب ويضمن له الحماية والكيان الاجتماعي، وينشئهم على المعايير المتعارف عليها، ونجد من أسس المقومات النفسية، الاتجاهات والمواقف والروابط التي تربط بين أعضاء الأسرة، سواء الزوجين أو الأطفال إن كان يسودها التفاهم والتعاون

والاحترام المتبادل بين الجميع، كما أن سلوك أفراد الأسرة ينعكس على شخصية الطفل منذ السنوات الأولى من حياته، فوظيفة الأسرة تتلخص ضمن هذه الرؤية في كونها بيئة تفاعلية بين جميع أفراد الأسرة في ظل مشاعر العاطفة بين الوالدين والأطفال، عندما يعملون جميعا من أجل مصلحة الحياة الأسرية وحفاظا على كيانها ووحدتها وأي خلل في هذا التفاعل الاجتماعي الأسري ينعكس سلبيا على تنشية الأطفال وتوافقهم نفسيا واجتماعيا.

قائمة المراجع:

1- إسماعيل سراج الدين وآخرون، **أسس التحديث والتنمية العربية في زمن العولمة**، مؤسسة عبد الحميد شومان : عمان-الأردن، 2009.

2-بطرس حافظ سلامة،**التكيف والصحة النفسية للطفل**، دار المسيرة:الاردن،2008.

3-بن جامين سبوك وآخرون،**موسوعة العناية بالطفل**،دار الملايين :بيروت،1976.

4-جمال معتوق،**صفحات مشرقة من الفكر التربوي عند المسلمين**،ددن:الجزائر،2004

حامد عبد السلام زهران،**علم النفس الاجتماعي**،ط5، عالم الكتب: القاهرة. 1984

5-رشاد صالح الدمنهوري،**التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي**،دار المعرفة الجامعية:الإسكندرية،2006.

6-سهير كامل احمد، **الصحة النفسية والتوافق**،مركز الإسكندرية للكتاب: الإسكندرية،1999.

7-فاروق الروسان ،**دراسات وبحوث في التربية الخاصة**، دار الفكر: عمان ،2000.

8-محمد البدوي الصافي،**السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية**،دار القلم:الإماراتالعربية.1996.

9-محمد فتحي فرج الزليتيني،**أساليب التنشئة الاجتماعية ودوافع الانجاز الدراسية**،دار قباء:القاهرة،2008.

10-محمدمحمودحسن،**رعايةالأسرة**،دارالكتبالجامعية:الإسكندرية،1997.

11- محمود حسن،**الأسرة ومشكلاتها**،دار النهضة العربية: بيروت،1986.

12-مراد زعيمي،**مؤسسات التنشئة الاجتماعية**،جامعة باجي مختار عنابة: الجزائر،2002.

13-مصباح عامر، **التنشئة الاجتماعية والسلوك الإنحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية**،دار الأمة:الجزائر،2003.

14-معتز سيد عبد الله،عبد اللطيف محمد خليفة،**علم النفس الاجتماعي**،دار غريب:القاهرة،2001.

15-مواهب إبراهيم عياد، ليلى محمد الخضري، **إرشاد الطفل وتوجيهه في الأسرة ودور الحضانة**، منشأة المعارف: الإسكندرية، 1997.